Journal Of the Iraqia University (76-4) 31 July (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

البناء اللّغوي للنظم القرآنيّ في ضوء علم المناسبة دراسة تطبيقية على آيات مختارة

د. منتهى علي عبد الله

وزارة التربية/ مكتب الوزير/ قسم تطوير التعليم

The Linguistic Structure of Quranic Composition in Light of the Science of Occasion (Ilm al-Munasabah): An Applied Study of Selected Verses

Dr. Muntaha Ali Abdullah
dr.muntaha2022@gmail.com

ملخص :

تتناول هذه الدراسة البناء اللّغوي للنظم القرآني في ضوء علم المناسبة بمقاربة تطبيقية على آيات مختارة من سور (النحل والروم والجاثية والزمر). وقد استهلت الدراسة بتأصيل نظري لمفهوم علم المناسبة لغةً واصطلاحًا، مع تتبع مساره التأريخيّ ابتداءً من إشارات السابقين ووصولًا إلى استقلاله كعلم على يد أبي بكر النيسابوريّ وما تلاه من جهود البقاعيّ وغيره، وقد استعرضت أنواع التناسب مبرزة أهمية هذا العلم في إعجاز النظم القرآني. وقد كشف الجانب التطبيقي أن اختيار صيغة (آيةٍ) مفردة جاء لوحدة المدلول وتعيينه بينما اقتضى المقام صيغة الجمع (آيات) لتعدد المظاهر الكونية وتنوع الدلائل، وأثبتت الدراسة أن ختم السياق بِالفاصلة (لقوم يتفكرون) من دون غيرها مرتبط بمعان تحتاج إلى إعمال فكر عميق واستمرار التأمل. وفي ختام الدراسة تم التأكيد على أن المناسبة ليست ارتباطا لفظيا بسيطا بل هي ترابط موضوعي محكم يخدم وحدة المعنى ويكشف الإعجاز اللغوي والبياني للنص القرآني.**الكلمات المفتاحية:**(البناء اللغوي، النظم قرآني، علم المناسبة، آية / آيات، يتفكرون)

Abstract

This study explored the linguistic structure of the Qur'anic text through the science of al-munasabah (Qur’anic textual coherence and contextual correlation), it uses an applied method to selected verses from Surahs (Al-Nahl, Al-Jathiyah , Al-Rum, and Al-Zumar).The research started with a theoretical foundation of the concept of the science of occasion in linguistic and technical .it also follows its historical development from the indications of predecessors until it became a clearer independence filed especially through the contributions of Abu Bakr Al-Nisaburi. And what followed were the efforts of Al-Biqa'i and others. the research discussed the types of proportionality and shows the importance of this science in the miraculous nature of the Qur'anic style. The applied aspect revealed that the choice of the single form (ayah) relates to a single and specific meaning while the plural form (ayat) appears when the context refers to many signs especially the variety of cosmic phenomena and the different froms of evidence.The study demonstrate that ending the passage with the comma people who reflect) rather than any other word is linked to meanings that require deep thinking and continued reflection. finally the study emphasizes that al-munasabah is not a simple verbal connection but rather a precise thematic interrelation that serves the unity of meaning and reveals the linguistic and rhetorical miracle of the Qur’anic text.**Keywords:** Lingustic Structureu, Quranic Compositon, al-Munasbah, Verse / Verses, Contmplation.

مقدمة:

الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم معجزًا في لغته ونظمه، والصلاة والسلام على من أُوتي جوامع الكلم خاتم النبيين محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين، أما بعد:فإنَّ البحث في (نظم القرآن) يُعد من أسمى الغايات التي ينشدها الباحثون في علوم العربية؛ وفي إطار ذلك يتجلى إعجاز القرآن الكريم ليس في بلاغة الكلمة والجملة فقط بل في دقة البناء اللغوي الذي يربط الآيات والسور بعلم المناسبة فتصبح كالكلمة الواحدة منتظمة المعاني متصلة المباني، وتسعى هذه الدراسة إلى استجلاء البناء اللغوي في ضوء علم المناسبة، معتمدةً المنهج الوصفي التحليلي وتطبيقا على آيات مختارة من سور النحل والروم والجاثية والزمر لبيان الحكمة من اختيار صيغ لغوية معينة دون غيرها وختم السياقات بفاصلة معينة فضلا

عن إظهار وجهات الإعجاز اللغوي البياني. وتكمن إشكالية الدراسة في السؤال: ما الحكمة من دقة هذا البناء اللغوي الذي يثبت وحدة المعنى ويبين أسرار النظم القرآني بترابط موضوعي ولفظي محكم يخدم مقاصد التنزيل؟ وقد استهلت الدراسة بتأصيل نظري لمفهوم المناسبة لغةً واصطلاحًا، مع تتبع مسارها التأريخيّ ابتداءً من إشارات السابقين ووصولًا إلى استقلالها كعلم على يد أبي بكر النيسابوريّ وما تلاه من جهود البقاعيّ وغيره، وقد استعرضت أنواع التناسب مبرزة أهمية هذا العلم في إعجاز النظم القرآني فضلا عن تطبيق ذلك في خمسة مواضع من آيات الذكر الحكيم واختتمت الدراسة بأبرز النتائج التي توصلت إليها. هذا ولله الحمد وهو ولي التوفيق.

علم المناسبة: المفهوم، النشأة ، الأنواع، الأهمية

المناسبة في اللّغة من " نسب الشيء بالشيء ، وهي الاتصال بالشيء، ومنه النسب سمِّي لاتصاله وللاتصال به "(مقاييس اللغة ٥/ ٤٢٣)، والمناسبة تعنى: المشاكلة (الصحاح ٢٢٤/١، وتاج العروس ٤/ ٢٥٦)، والمقاربة (يُنظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٢/ ٦٠٢) أمّا المناسبة في الاصطلاح، فقد عرّفها ابن العربي بأنها " ارتباط آي القرآن بعض ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"(البرهان في علوم القرآن ٣٦/١)، والمناسبة عند البقاعي "علم يعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن" (نظم الدرر ٦/١) ، وقد عرّفها القطان بأنها : "وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة وبين الآية والآية في الآيات المتعددة، وبين السورة والسورة" (مباحث في علوم القرآن ٩٦). ويظهر البناء اللغوي في علم المناسبة في دقة اختيار الصيغ الصرفية والنحوية المناسبة للسياق والتقابل بين الآيات والتناسب اللفظي داخل السورة وبين السور خدمة لوحدة المعنى ودقة النظم.أما نشأة هذا العلم فثمة إشارات في تراثنا كثيرة تشير إلى أن السابقين من الصحابة والتابعين كانوا يعرفون المناسبة ويولونها اهتماما (يُنظر: مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور ٢٠) لكن لم يظهر علم المناسبة كعلم مستقل إلا مع أبي بكر النيسابوريّ، إذ كان يهتم به في درسه، ويقول إذا قُرئتْ عليّه آيةً: أقول: " لِمَ جُعلت هذه الآية إلى جنب هذه، وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه" (البرهان في علوم القرآن ٣٦/١)، وقد ظلّ هذا العلم زمنًا طويلًا مجرد إشارات ولفتات في ثنايا كتب التفسير، ولاسيما عند فخر الدين الرّازيّ في كتابه (مفاتيح الغيب) إلى أن أفرده بالتأليف أبو جعفر الغرناطي، في كتاب سمّاه (البرهان في تناسب ترتيب سور القرآن)، ثم جاء بعد ذلك البقاعي وألّف فيه كتابين، هما: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ومصاعد النّظر للإشراف على مقاصد السور، وهما يعدان أهم ما كتب في هذا المجال (يُنظر: مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور ٢١ – ٢٢).

أنواع المناسبات في القرآن الكريم

لعلم المناسبة نوعان رئيسان هما:

١- التناسب بين السورة الواحدة ، ويشمل:

- مناسبة آيات السور بعضها مع بعض.
- مناسبة خاتمة السورة لفاتحتها.
- مناسبة اسم السورة لموضوعها.
- مناسبة موضوعاتها المتنوعة لمحورها العام وغرضها الرئيس.

٢- التناسب فيما بين السور بعضها مع بعض، وتشمل:

. مناسبة اللفظة بين السور.

. المناسبة الموضوعية.

- مناسبة الفواتح والخواتم فيما بينها (يُنظر: مصابيح الدرر ١٩- ٢٠).

ويمكن بيان أهمية علم المناسبة فيما يأتي:

١- إبراز جانب من أسرار القرآن الكريم، وصور إعجازه.

٢- يساعد على فهم النص القرآني وبيان معناه.

٣- في هذا العلم آية من آيات صدق المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وثبوت نبوته، فالمعلوم أن القرآن كان ينزل مفرقا على مدى ثلاث وعشرين سنة، وقد تلقى الصحابة عن رسول الله ترتيب آيات القرآن الكريم، وسوره، ومعلوم أنّ هذا الترتيب بين سور القرآن وآياته، ليس من مقدور البشر، مهما كان عقله ومهما بلغت فصاحته (يُنظر: علم المناسبات في السور والآيات ٣٨- ٤٠).

٤-إدراك اتساق معاني القرآن الكريم وأحكام بيانه وانتظام كلامه، وروعة أسلوبه (يُنظر: مباحث في علوم القرآن ٩٦).

وبعد أن استعرضنا الجانب النظري لعلم المناسبة، ننتقل إلى التطبيق على نماذج قرآنية مختارة وفقا لوحدة الفاصلة وتنوع السياق، لبيان الفروق في الصيغ بين الإفراد والجمع والتعريف والتنكير وسيركز التحليل على الآليات اللغوية التي تحقق إحكام النظم القرآني في ضوء علم المناسبة .

التطبيق:

- **قوله تعالى:** {هو الذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ١٠، ١١]، المناسبة في قوله: {ومن كل الثمرات إنّ في ذلك لآية لقوم يتفكرون }تتحدث هذهِ الآيتان عن نعم الله تعالى على الإنسان في الطبيعة. فبعد أن ذكر سبحانه وتعالى إنباته الزرع والزيتون والأعناب بالماء الذي أنزله من السماء قال: (ومن كلّ الثمرات)، فـ(كل الثمرات) إشارة إلى سائر الثمرات إجمالًا، كما أجمل الحيوانات التي لم يذكرها في قوله: {ويخلق ما لا تعلمون}، و(من) هنا تبعيضية وقد جيء بها تنبيها على أن كلّ الثمرات لا تكون إلا في الجنة، وما في الأرض إلا بعض من ذلك الكل فجاءت (من) للتذكرة (يُنظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٤٧/٤، ونظم الدرر ١١٨/١١، وفتح البيان في مقاصد القرآن ٢١٦/٧) ثم قال (وإن في ذلك لآية)، قيل: الإنزال والإنبات (يُنظر: فتح البيان في مقاصد القرآن ٧/ ٢١٦). وقيل المراد (الماء العظيم المتحدث عنه أو في إنزاله على الصفة المذكورة (يُنظر: نظم الدرر ١١٨/١١)، كما قال تعالى { تسقى بماء واحد} [الرعد : ٢٤] وتكمن المناسبة في الربط المحكم بين ما ذكر من إنبات الزرع والزيتون والنخيل والأعناب بالماء النازل من السماء، وبين دلالة ذلك على عظمة الخالق ولعل أهم ما يميز المناسبة في هذه الآية هو مجيء(آية) مفردة وهو ما يجسده البناء اللغوي، وذلك لوحدة المدلول، أيّ: أنّ ما أخبر عنه صنف واحد من جنس واحد (يُنظر: درة التنزيل وغرة التأويل ١/ ٨٢١)، وقيل أنّ الأرض (آية)، والليل والنهار والشمس والقمر والنجوم (آيات)، فلما ذكر ما يتعلق بالأرض أو جزء منها قال: (إن في ذلك لآية)، ولما ذكر الشمس والقمر والليل والنهار والنجوم قال: {إن في ذلك لآيات [النحل: ١٢]، فعندما ذكر جزء من الأرض قال (آية) ولما كان السياق متصلًا بعموم الظواهر الكونية ناسب ذلك صيغة الجمع فقال (آيات) (يُنظر: لمسات بيانية ١٠٢٤) وقيل المراد بالآية الشيء العجيب الذي يقف عنده العقل مندهشا يورث يقينا بحكمة الخالق ، فكيف أُنزل من السماء ، وكيف أصبح شرابًا، ففيه حياة الإنسان، والحيوان والنبات، فمنه يشرب الإنسان، ويأكل الزرع والزيتون الذي ينبت به، ومنه ينبت الشعير الذي يرعى فيه. لذلك جاءت (آية) بالإفراد لدلالة على آية الماء أما قوله: (قوم يتفكرون)، فلفظ (قوم) إشارة إلى من أصبح التفكر صفتهم التي عليها يجمعون، ولأجل هذه الصفة المشتركة أطلق عليهم (قوم)، وقد جاء الفعل (يتفكرون) بصيغة المضارع دون غيرها؛ لأن التفكر عندهم ليس مرة واحدة بل متكرر متجدد وهذا ما تدل عليه صيغة المضارع (يُنظر: التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ٢٣) أما مجيء التعبير بـ(يتفكرون) وليس بـ(يتذكرون)؛ فلأن ذلك الأمر ليس ظاهرًا وإنما خفي، فالظاهر يحتاج إلى تذكر فقط بخلاف الخفي، ولم يأتِ التعبير بـ(يعقلون): لأن الأمر لا يحتاج إلى المبالغة في إعمال العقل (يُنظر: التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ٢٣)، فالعبرة بأمر الزرع والثمار ففيها يحصل التفكر والتأمل في حالة البذرة ونموها، وكيف هذه البذرة انتقلت من بذرة يابسة إلى زرع يانع وثمار نافعة (يُنظر: إرشاد العقل السليم ١٠١/٥، وروح المعاني ٣٥١/٧) وممّا تقدّم يظهر الاختيار الدقيق لصيغة الإفراد انسجاما مع وحدة الدلالة، فضلًا عن مجيء الفعل يتفكرون وليس يتذكرون أو يعقلون وبصيغة المضارع تحديدا ففي ذلك تأكيد على أن البناء اللغوي للنظم القرآني قائم على إحكام العلاقة بين السياق والمعنى لا على التراكم الكمي للألفاظ ولا يقتصر التناسق القرآني على مناسبة الآيات داخل السورة الواحدة بل يتعدى ذلك إلى مناسبة الآيات فيما بينها. ولعل آيات سورة النحل تقدم نموذجًا فريدًا لذلك فبعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى نعمته في إنزال الماء لإنبات الزرع والثمرات، جاءت آية النحل لتستكمل هذا السياق، مؤكدة على عظمة الخالق في تسخير مخلوقاته الضعيفة لإنتاج ما فيه شفاء للناس، مما يبرهن على اتساق البناء القرآني، في:. **قوله تعالى** : {ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٦٩]، المناسبة في قوله: {فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون } بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى أنّه خلق النحل وألهمها أن تتخذ من الجبال وثقب الأحجار والحفر بيوتًا، فألهمها أن تأكل من أنواع الثمرات كلها، وأن تسلك السبل التي ذللها الله تعالى لها، ومن عملها الدؤوب يخرج من بطونها شراب وهو (العسل)، مختلف ألوانه فمنه الأصفر والأسود والأبيض، والضمير (فيه)في قوله: (فيه شفاء) يعود إلى الشراب – العسل– (يُنظر: فتح القدير ٢١٠/٣)، وشفاء هنا مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية (فيه شفاء) صفة للشراب، وقد قال شفاء بالتنكير ولم يقل فيه الشفاء بالتعريف قصدًا للتخصيص، إذ يقول عبد القاهر الجرجاني: " إذا دخل الخصوص، فقد وجب أن يقال: (حياة) ولا يقال (الحياة)، كما وجب أن يقال (شفاء) ولا يقال (الشفاء) في قوله تعالى: {يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء} إذ لم يكن شفاء للجميع (دلائل الإعجاز ٢٩٠)، أي: لما كان شفاء لبعض الأمراض ومن بعض الأدوية صلح أن يوصف بأنه فيه شفاء (يُنظر: مفاتيح الغيب ٢٣٧/٢٠) . فالنكرة لا تلزم العموم، ففي التنكير

بعض الشفاء، وهذا يكون ردًا لمن سأل عن كيف يكون شفاء للناس وهو يضر بالصفراء ويهيج المرارة (يُنظر: مفاتيح الغيب ٢٠/ ٢٣٧، ، والجدول في إعراب القرآن ١٤/ ٣٥١، ودعاوى الطاعنين في القرآن ٣٧٨)ثم قال: (إنّ في ذلك آية)، فقيل المراد الشراب الذي فيه شفاء للناس (يُنظر: تفسير المراغي ١٤/١٠٨)، وقيل المراد ما مذكور من أمر النحل (يُنظر: فتح البيان ٧/٢٧٧)، وقيل المراد إلهام الله لهذه الدواب الضعيفة إلى السلوك في هذه المهام (يُنظر: التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ١٣٩). وقال (آية)؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى جعل من هذه الحشرات الضعيفة مملكة منظمة، واخرج من بطونها دواءً يحتاج البشر أن ينتجوا مثله إلى مصانع ومختبرات، وهذا خلقه الله سبحانه وتعالى في بطن هذه الحشرة، وجاءت (آية) بصيغة المفرد؛ لوحدة المدلول من أمر النحل (يُنظر: التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ١٣٩) ولاختصاص النحل بتلك اللطائف الخفية والعلوم الدقيقة ختم الآية بالتفكر، لأنّ أمر النحل وقصتها العجيبة من انقيادها لأمر الله سبحانه وتعالى، واتخاذها البيوت، وتتبعها الزهر، وإخراج من بطونها دواء يحتاج البشر أن ينتج مثله إلى مختبرات ومصانع، فكل ذلك يقتضي فكرة بليغة؛ إذ يقف العقل أمامه طويلًا وهو يتدبر ويمعن التفكير في عظمة خالقها ومقدرها ومسخرها، ومسيرها، فجاءت (يتفكرون) مناسبة في مكانها تؤكد هذا المعنى (يُنظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤/ ٢٨١، وإرشاد العقل السليم ١٥/ ١٢٥).ويتضح ممّا تقدّم أن اختيار الصيغة اللغوية جاء منسجما مع بنية النص ممّا يعضد من وظيفة المناسبة في احكام النظم. كما أن المناسبة قد تتجاوز الربط الموضوعي بين الآيات، لتشمل انتقاء الفاصلة الملائمة لطبيعة المعنى الدقيق، والذي يحتاج إلى تدبرٍ متأنٍ وتفكيرٍ عميق. ولا يقتصر التناسق القرآني على مناسبة الآيات داخل السورة الواحدة، بل يمتد ليشمل مناسبة الآيات بين السور، كما في:**قوله تعالى** :{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الروم: ٢١]. المناسبة في قوله تعالى: {وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى خلق الانسان من التراب ذكر خلق الأزواج من النفوس، وقيل المراد، حواء فأنّه خلقها من ضلع آدم (عليه السلام)، والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال، ثم قال (وجعل) أيّ: صيّر بسبب الخلق على هذه الصفة (مودة ورحمة)، أيّ: ودادًا وتراحمًا، بسبب عصمة النكاح (يُنظر: فتح البيان في مقاصد القرآن ١/١٣٧)، وقيل المودة الجماع والرحمة الولد (يُنظر: إرشاد العقل السليم ٧/٥٦)، وقيل المودة المحبة والرحمة الشفقة، وقيل المودة حب الرجل امرأته والرحمة رحمته إياها (يُنظر: فتح القدير ٤/ ٢٥٣، وفتح البيان ١/٢٣٧) ، وقيل المودة للشابة والرحمة للعجوز، وقيل أيضا المودة للكبير والرحمة للصغير (يُنظر: روح المعاني ١١/٣٢) ثم قال: (إنّ في ذلك لآيات)، فقال آيات بصيغة الجمع ولم يقل آية بالمفرد؛ وذلك تنبيها على أن ما ذكر ليس بآية واحدة كما ينبئ عنه قوله تعالى: (ومن آياته) بل هي مشتملة على آيات شتى، فمن هذه الآيات خلق الإنسان من التراب، وخلق الأزواج من الأنفس، وإلقاء المودة والرحمة بينهم (يُنظر: إرشاد العقل السليم ٧/٥٦، وروح المعاني ١١/٣٢). وكذلك جعل للإنسان ناموس التناسل، وجعل تناسله بالتزاوج ولم يجعله كتناسل النبات في نفسه، وجعل أزواج الإنسان من صنفه ولم يجعلها من صنف آخر، وجعل في ذلك التزاوج أنسا بين الزوجين ولم يجعله تزاوجا عنيفا أو مهلكا كتزاوج الضفادع (يُنظر: التحرير والتنوير ٢١/٧١).فهذه الآيات تحتاج إلى تفكر و تأمل، ولما كان هذا المعنى دقيقًا يدرك بالتأمل قال: القوم، أي: رجال لهم قوة وجد ونشاط في القيام بما يجعل إليهم (يتفكرون)، وهم المؤمنون وأهل الرأي من المشركين الذين يؤمنون بعد نزول هذه الآية (يُنظر: نظم الدرر ١٥/٦٩، والتحرير والتنوير ٢١/٧١)، وهذا الذي ذكر يحتاج إلى تفكر؛ لأنّ التفكر والنظر في تلك الدلائل هو الذي يجلي كنهها ويزيد الناظر بصارة بمنافع أخرى في ضمنها، فكيف خلق الإنسان من تراب ثم خلق الأزواج من النفس، وكيف أنه خلق الإنسان من الوالدين، فهذا يدل على كمال القدرة ونفوذ الإرادة وشمول العلم لمن يتفكر في ذلك (يُنظر: روح المعاني ١١/٣٢) . يظهر الجمع في هذه الآيات أن التعدد ليس ظهور خارجي فقط بل يتعدى إلى طبقات الدلالة المتداخلة معبرًا عن اتساع البناء اللغوي للنص القرآني في هذا السياق. **قال تعالى** : {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [الجاثية: ١٣] (سخر لكم) عام مخصوص، ولعلّ في تقديم الجار والمجرور اهتمام، أيّ: لأجل نفعكم، فـ(ما في السموات وما في الأرض) ما فيه فائدة للناس كالشمس للضياء والمطر للشراب والأنعام وغير ذلك، وما في السماوات وما في الأرض، ما لا فائدة فيه كالأهوية المنحبسة في باطن الأرض التي يأتي منها الزلزال، فهذا غير مراد هنا (يُنظر: التحرير والتنوير ٢٥/ ٣٣٧)، وقد أكد بإعادة الموصول، للدلالة على عزته وحكمته، الدالتين على توحده باستحقاق العبادة، كما دلتا على توحده بالإيجاد والسيادة (يُنظر: نظم الدرر ١٨/٧٦) ثم قال (جميعًا) للدلالة على ما مضى من العموم فهى حال ممّا في السماوات وما في الأرض، ثم قال (منه) تأكيدًا على أنّ جميع ذلك من عند الله تعالى ليس لغيره فيه أدنى شركة (يُنظر: إرشاد العقل السليم ٨/٧٠) ، أيّ : كائنة منه فهو مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه (يُنظر: مفاتيح الغيب ٢٧/ ٦٧٣)ثم قال: (إنّ في ذلك لآيات) بصيغة الجمع ولم يقل آية بالإفراد، لأن ما ذكر آيات كثيرة وليس آية واحدة فقط، فما في السماوات وما في الأرض يشمل الشمس والقمر والنجوم والأرض والمطر والنباتات والحيوانات وغير ذلك فكلها

آيات لا آية واحدة. وقال (آيات) على ما ذكره من دلائل تدل على تفرد الله سبحانه وتعالى بالإلهية، فهي وإن كانت نعم يحق أن يشكرها الناس فأنّها أيضا دلائل إذا تفكر في المنعم عليهم اهتدوا بها، فهي وإن ذكرت في معرض الامتنان بأنّها نعم، عقبت بالتنبيه على أنّها أيضا دلائل على تفرد الله سبحانه وتعالى بالخلق. وخصت بالتفكر لأنّ التفكر آخر صفات المستدلين بالآيات فالفكر هو منبع الإيمان والعلم (يُنظر: التحرير والتنوير ٢٥/ ٣٣٧). فالجمع بين عموم التسخير وتعدد مظاهره يبرر صيغة الجمع بما يعكس توافقا تاما بين البنية اللّغوية وسعة المعنى. **قال تعالى** : {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الزمر:٤٢]. المناسبة في قوله تعالى: {ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون}بعد أن ذكر الله تعالى توفي الأنفس عند الموت وعند النوم وإمساكه الأنفس التي قضى عليها الموت، قال: (ويرسل الأخرى)، وهي النائمة (إلى أجل مسمى)، أيّ: إلى وقت معلوم، وجرى الفعل (يُرسل) مجرى الفعل يمسك ليأتلف الكلام على نظام واحد، وقال (يرسل) ولم يقل (يبعث)؛رعايةً للتقابل (إلى أجل مسمى) وقت الموت حقيقة، لأنّ الفعل (يرسل) يتضمن معنى الحفظ، أيّ: يرسل الأخرى حفاظا إياها عن الموت الحقيقي (يُنظر: حجة القراءات ٦٢٤، وروح المعاني ٢٦٣/١٢)، وجاءت (آيات) بالصيغة الجمع في قوله تعالى: (إنّ في ذلك لآيات)، وهي: التوفي والإمساك والإرسال (يُنظر: نظم الدرر ٥١٩/١٦)، فهذه آيات ودلالات عجيبة دالة على كمال قدرته سبحانه وتعالى، لأنّه لا يقدر على الإحياء والحفظ غيره، وقال : (لقوم يتفكرون) فليس هي آيات يفهمها كلّ أحد بل قوم ذوي قوة في مزاولة الأمور يتدبرون ويستدلون بها على توحيد الله سبحانه وتعالى وكمال قدرته (يُنظر: فتح البيان ١٢٢/١٢)، يتفكرون في طريق تعلق الأنفس بالأبدان وتوفيها عنها بانقطاع تصرفها حين الموت مع بقائها في عالم آخر إلى أن يعيد الله الخلق، وفي قطع تصرفها في الظاهر فقط في حال النوم، ثم إرسالها في حال اليقظة إلى انقضاء آجالها (يُنظر: مفاتيح الغيب ٤٥٦/٢٦، وروح المعاني ١٢/ ٢٦٤، وتفسير المراغي ٣/٢٤) ، فكلّ هذا يحتاج إلى تفكر وتدبر، ويتفكرون، أيّ : في عظمة هذا التدبر ليُعلم به عظمة الله تعالى (يُنظر: نظم الدرر ٥١٨/١٦) . فختم الآية بدلالة (التفكر) جاء نتيجة تعقيد الظاهرة المدروسة، وليس لمجرد التذكير، مما يعزز أثر علم المناسبة في توجيه الصيغة والفاصلة معا.

الخاتمة

يتبين لنا من هذه الدراسة ما يأتي:

١. إنّ المناسبة في القرآن الكريم ليست مجرد ارتباط لفظي بل جزء لا يتجزأ من البناء اللغوي المعجز للنص القرآني. فكل ما ذكر من إنزال الماء وإنبات الشجر والزرع، وإخراج العسل من بطون النحل، وخلق الأزواج من الأنفس وجعل المودة والرحمة بينهم، وتسخير ما في السماوات وما في الأرض، وتوفي الأنفس، وإن كانت نعما فهي دلالات واضحة على كمال الله سبحانه وتعالى وقدرته؛ إذ يقف العقل مندهشًا أمام حكمة الخالق وعظمته، ولا يفهم هذه الآيات كل أحد بل قوم ذوي قوة في مزاولة الأمور. يتدبرون ويستدلون بها على توحيد الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ في كل ذلك أمر خفي يحتاج إلى تأمل وتدبر، فالتفكر والنظر في تلك الدلائل هو الذي يجلى كنهها ويزيد الناظر باصرة، وهو آخر صفات المستدلين بالآيات فالفكر منبع الإيمان والعلم، لذلك جاءت الفاصلة مناسبة في مكانها في الآيات الخمس.

٢- إنّ دراسة المناسبة كشفت عن دلالة بلاغية عميقة في استعمال القرآن الكريم للفظ (آية) بصيغة المفرد أو (آيات) بصيغة الجمع، وأن هذا الاختيار مقصود ودقيق، فالمفرد يأتي عند الحديث عن أمر واحد ومحدد كـ(الماء) مثلًا، والجمع يأتي عند الحديث عن أمور متعددة ومتنوعة كـ(ما في السماوات والأرض).

٣- إنّ ختم الآيات بـ(لقوم يتفكرون) اختيار دقيق، يؤكد أن هذه الآيات تحتاج إلى تأمل عميق وليس فهم سطحي وذلك يعكس عظمة الخالق الذي جعل آياته تتطلب من العقل أن يعمل ويتدبر.

٤- يمثل علم المناسبة أداةً لغوية فعّالة في تحليل التماسك النصي للقرآن الكريم إذ يوضح العلاقة الدقيقة بين الصياغة والسياق ويبرهن أنّ النظم القرآني مبني وفق قوانين دلالية واتساقٌ لغويّ محكم وليس مجرد ترتيب لفظ.

فالمناسبة ترابط موضوعي يخدم المعنى العام للآية والسورة ويكشف عن جانب من جوانب الإعجاز القرآني في نظمه ولغته.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، أحمد بن فارس القزويني الرازي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

- أبو السعود (ت٩٨٢هـ)، محمد بن مصطفى العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي: بيروت.
- أبو العباس (ت ٧٧٠هـ)، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية ، بيروت.
- أبو العلاء، عادل بن محمد، ١٤٢٥هـ، مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- أبو زرعة (ت ٤٠٣ هـ)، عبد الرحمن بن محمد ، حجة القراءات، حققه وعلق على حواشيه: سعيد الأفغاني، (د.م)، (د.ن)، (د.ت).
- الأصبهاني(ت ٤٢٠ هـ)، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الاسكافي، ٢٠٠١م، درة التنزيل وغرة التأويل، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد مصطفى ايدين، جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية: مكة المكرمة، ط١.
- الآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ)، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، ١٤١٥ هـ ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١.
- البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور دار الكتاب الإسلامي: القاهرة.
- التونسي (ت١٣٩٣ هـ)، محمد الطاهر بن عاشور، ١٩٨٤، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية: تونس.
- الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي، ١٩٩٣م، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكل أبو فهر، مطبعة المدني: القاهرة، دار المدني: جدة، ط٢.
- الحسيني، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، الملقب بمرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- الرازي (ت ٦٠٦هـ)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين، ١٤٢٠ هـ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي : بيروت، ط٣.
- الزركشي ت٧٩٤ هـ). أبو عبد الله. ١٩٥٧م، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.
- السامرائي، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان: الأردن، ط٣.
- شحادة، سامي وديع عبد الفتاح، التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، دار الوضاح ، الأردن: عمان.
- الشعراوي (ت١٤١٨هـ)، محمد متولي، ١٩٩٧م. الخواطر: تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.
- الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، ١٤١٤ هـ، فتح القدير دار ابن كثير، دار الكلم الطيب: دمشق، بيروت، ط١.
- الصافي (ت ١٣٧٦ هـ)، محمود بن عبد الرحيم، ١٤١٨ هـ ، الجدول في إعراب القرآن الكريم، ، دار الرشيد : دمشق، مؤسسة الإيمان: بيروت، ط٤.
- الصالح، صبحي، ٢٠٠٠ م، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط٢٤.
- الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين: بيروت، ط٤.
- القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ)، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢، فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا : بَيروت.
- المراغي (ت ١٣٧١ هـ)، أحمد بن مصطفى. ١٩٤٦م، تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده: مصر، ط١.
- المطيري، عبد المحسن بن متعب، ٢٠٠٦ م، دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، دار البشائرالإسلامية: بيروت.
- النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، ١٤١٦ هـ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه : بيروت، ط١.

References

-The Holy Qur'an.
-Al-Alusi, S. M. (1994). Ruh al-Ma'ni fi Tafsr al-Qur'an al--'Azm (A. A. Attia, Ed.). Dar al-Ktub al-Ilmyah.
-Al-Asbahni, A. A. M. (2001). Durat al-Tanzil wa Ghurat al-Ta'wl (M. M. Ayin, Ed.). Umm Al-Qura Unversity Scientific Rsearch Institute.
-Al-Biqa'i, I. O. (n.d.). Nazm Duar fi Tanasub al-Ayat wa al-Suar. Dar al-Kitab al-Isami.
-Al-Farabi, I. (1987). Al-Siah: Taj al-Lugha wa Sihah al-Arabyya (A. A. Attar, Ed.; 4th ed.). Dar al-Ilm lil-Malayin.
-Al-Husayni, M. M. (Murtada al-Zabidi). (n.d.). Taj al-rus min Jaahr al-Qaus (Group of Editor, Eds.). Dar al-Hidayah.
-Al-Jurjani, A. Q. (1993). Dala'l al-I'jaz fi 'Ilm al-Maani (M. M. Shkir, Ed.; 2nd ed.). Al-Madani Pess.
-Al-Maraghi, A. M. (1946). Tafsir al-Marghi (1st ed.). Musafa al-Babi al-Halab& Sons.
-Al-Mutari, A. M. (2006). Claims of the Critics of the Qur'an in the 14th Hiri Century and the Refuation Thereof. Dar al-Basha'ir al-Islmyya.
-Al-Nayaburi, N. H. (1995). Ghara'ib al-Quran wa Raga'ib al-Furqan (Z. Umarat, Ed.). Dar al-Kutu al-Ilmiyah.
-Al-Qannaji, M. S. (1992). Fath al-Bayan fi aqasid al-Qur'an (A. I. al-Ansari, E.). Al-Maktaba al-Asriyya.
-Al-Razi, F. D. (1999). Mafatih al-Gayb (The Great Exegesis) (3rd ed.). ar Ihya al-Trath al-Arabi.
-Al-Safi, M. R. (1997). Al-Jadwal fi I'rab al-Qur'an al-Kaim (4th ed.). Dar al-Rasid / Mu'assaat al-Iman.
-Al-Sali, S. (2000). Mabahith fi 'lum al-Qur'an (24th ed.). Dar al-Ilm lil-Malayin.
-Al-Samara'i, F. S. (2003). Lamasat ayaniyya fi Nususn al-Tanzil (3rd ed.). Dar Ammar.
-Al-Sha'raw M. M. (1997). Al-Khawatir: Tfsir al-Sha'rawi. Akhbar al-Yaum Press.
-Al-Shawkani, M. N. (1993). Fath al-Qadir. Dar Ibn Kathir / Dar al-Kalim al-Tayyib.
-Al-Zarkashi, (1957). Al-Burh fi 'Ulum al-Qur'an (M. A. Ibraim, Ed.; 1st ed.). Dar Ihya al-Kutub al-Arabiyya.
-Abu al-Abbas. (n.d.). Al-Misbah al-Munir fi Gharb al-Sharh al-Kabir. Al-Maktaa al-Ilmiyah.
-Abu al-Ala, (2004). Masbih al-Durar Tanasub t al-Qur'an al-Karim wa al-Suwar. Islamic University of Madinah.
-Abu al-Saud, Irshad al-Aql al-Salim ila Mazaya al-Kitab al-Kaim. Dar Ihya al-Tuath al-Arabi.
-Abu Zurh, A. R. (n.d.). Hujjat al-Qirat (S. al-Afghani, Ed.(.
-Ibn Ashur, M. T. (1984). Al-Tahrr wa al-Tanir. Al-Dar al-Tunisiyya.
-Ibn Faris, A. Q. (1979). Mu'jam Maqayis al-Lugha (A. M. Harun, Ed.). Dar al-Fikr.
-Shehdeh, S. W. (n.d.). Al-Tafsir al-Bayni: Insights into Surah An-Nahl. Dar al-Waddh.